آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثامنة : العددان التاسع والعشرون والثلاثون - ربيع الأول ١٤٢١ هـ - تموز (يوليو) ٢٠٠٠ م

■ مصحف شريف كُتِب في منتصف القرن الثالث عشر الهجري

A copy of the Holy Quran written in the middle of the 13th century A.H.

كتاب المجالس

للخطيب الإسكافي

المتوفى سنة ٤٢٠ هـ

الأستاذ الدكتور/ حاتم صالح الضامن
العراق

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه النبيّ العربيّ الأمين.

وبعد، فهذا كتابٌ نفيس، لم يشر إليه أحدٌ من الدّارسين، وهو كتاب (المجالس)، والكتاب أمالي أبي عبدالله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، التي بدأها يوم الثلاثاء، الأول من المحرّم، سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، كما جاء في مقدمة المجلس الأول.

والمؤلف أحد أصحاب الصاحب بن عبّاد، المتوفّى سنة ٣٨٥هـ، وهو من أهل أصبهان، كان خطيبًا بالرَّيّ، أديبًا لغويًّا، له مؤلفاتٌ حسنة، توفي سنة ٤٢٠هـ[1]. قال ابن عبّاد: «فاز بالعلم من أهل أصبهان ثلاثة: حائكٌ، وحلاّج، وإسكافٌ. فالحائك: أبو علي المرزوقي، والحلاّج: أبو منصور ابن ماشدة، والإسكاف: أبو عبدالله الخطيب».

هذا ما جادت به المصادر عن الخطيب، وكلّها ردّدت ما قاله ياقوت.

مؤلفاته

١ - **المطبوعة :**

- خلق الإنسان.
- دُرّة التنزيل وغرّة التأويل.
- لطف التدبير.
- مبادىء اللغة.

٢ - **المخطوطة :**

- غلط كتاب العين.
- المجالس : وهو هذا الكتاب.

٣ - **الكتب التي لم نقف عليها:**

- شواهد كتاب سيبويه.
- الغُرَّة (تتضمن شيئًا من غلط أهل الأدب).
- نقد الشعر.

٤ - **الكتب التي نُسبت إليه غلطًا:**

- شرح الحماسة الطائيّة: نسبه إليه حاجي خليفة في كشف الظنون، والبغدادي في هدية العارفين. وهو وهمٌ منهما، فالشارح هو الخطيب التبريزي.

كتاب المجالس

يقع الكتاب في خمسةٍ وثلاثين مجلسًا، وزّعها المؤلف على ثمانية أجزاء، واتّبع في هذه المجالس منهجًا واضحًا، فهو يبدأ كلّ مجلسٍ بـ:

مسألة في القرآن، مسألة في خبر الرسول عليه السلام، مسألة نحويّة، بيت معنى، مَثَل.

وبعد المجلس الثلاثين أضاف نقطة سادسة هي: من ضَوالّ الحِكَم.

أمّا الآيات التي خاض في شرحها في أوّل كلّ

مجلس، وهي التي اعترض عليها الملحدون، فهي:

الفاتحة : ٦.

البقرة : ١، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٦٠، ٢٨٤.

آل عمران : ٧، ١١٠، ١٢٨، ١٥٩، ٢٠٠.

النساء : ٣٢، ٧٨ – ٧٩، ٨٣، ١٦٦.

المائدة : ٣، ٦، ٦٩.

الأنعام : ٣٣، ٧٦، ٩٨، ١٢٩، ١٦٢ – ١٦٣.

الأعراف : ٦، ١١، ٣٧، ٤٦، ٨٨، ١٤٦، ٢٠١.

الأنفال : ٢٤.

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنّه بحث الحروف المقطّعة في أوائل السور في المجلسين الثّاني والثّالث.

وأمّا الأحاديث التي سأل أهل الزَّيْغ فقد كانت سبعةً وثلاثين حديثًا، ردَّ عليهم اعتراضاتهم.

والمسائل النحوية خمسٌ وثلاثون مسألة، منها تسع عشرة مسألة خلافيّة.

وبلغت أبيات المعاني التي شرحها سبعةً وثلاثين بيتًا من الشّعر، وأربعة عشر شطرًا من الرّجز.

وبلغت الأمثال نحو خمسين مَثَلاً، منها اثنان وعشرون أَخَلَّتْ بها كتب الأمثال المطبوعة.

أمّا ضَوالّ الحِكَم التي ألحقها بالمجالس الخمسة الأخيرة، كما سلف، فقد بلغت نحو عشر حِكَم.

ولم يشر المؤلف إلى المصادر التي اعتمد عليها، ولكنه نقل أقوال كثير من العلماء كابن مسعود، وابن عبّاس، وقتادة، والضحّاك، ومحمد بن الحسن الشيبانيّ، والطبري.. وغيرهم..

وذكر كثيرًا من أقوال النّحاة في المسائل النحوية، منهم:

عيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، والخليل، وسيبويه، ويونس بن حبيب، والكسائي، والفرّاء، وأبو عبيدة، والأخفش، والأصمعيّ، وأبو عمر الجرمي، وابن الأعرابيّ، وابن السكّيت، والمازني، وابن قتيبة، والمبرد، وابن كيسان، والزّجاج، وابن الأنباريّ، والسيرافي.

ومخطوطة الكتاب نسخة فريدة تحتفظ بها مكتبة كوبريلي بتركيا، وتقع في ١٢٤ ورقة، في كلّ صفحة ١٧ – ٢٠ سطرًا، كُتبت بخط واضحٍ جميل مضبوط بالشّكل.

وقد أتحفنا بهذه المخطوطة تلميذنا النجيب الدكتور ضاري إبراهيم العاصي، فجزاه الله كلّ خير.

وأُقدّم اليوم المجلس الأول من هذا الكتاب؛ ليقف عليه الباحثون.

والحمدُ لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

/ ا ب / بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأوّل

من أمالي الشيخ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب، أطال الله بقاءَه، يوم الثلاثاء الأوّل من المحرّم سنة سبعٍ وثمانين وثلاث مئة.

أحمدُ اللهَ الذي علَّمَكَ بالقلم، وأورثكَ بهِ علومَ مَنْ قبلَكَ مِن الأُمم.

ولا تَكْتُبْ بِخَطِّكَ غَيْرَ شيءٍ
يَسُرُّكَ في العَواقِبِ أنْ تَراهُ

مسألة من المعشرات في آي القرآن

وهي التي لكلِّ واحدٍ منها عشرةُ أجوبةٍ من الآيات التي يعترضُ بها المُلْحِدون.

قالوا في قولهِ تعالى في فاتحة الكتاب: ﴿**اهْدِنَا الصِّراطَ المستقيمَ**﴾(٢): إذا أمَرَ اللّهُ تعالى المسلمينَ أنْ يدعوا بذلك، وقد هَدَاهم، فما وَجْهُهُ؟ وهل يصحُّ لِمَنْ كان بمكّة أنْ يطلبَ مِنَ اللهِ الهدايةَ إلى مكّة؟

والجوابُ عن ذلك مِن عشرة أَوْجُهٍ:

أَوَّلُها : أنْ يكونَ «الصراط المستقيم»: الطريقَ إلى الجَنَّةِ في الآخرةِ، والهداية إليها هي التي ذكرها اللّهُ تعالى في قوله: ﴿**والذينَ قُتِلوا في سبيل اللّه فَلَنْ يُضِلَّ أعمالهم. سَيَهْدِيهِمْ ويُصْلِحُ بالَهُمْ**﴾(٣).

فهذه الهدايةُ بعدَ الموتِ في الآخرةِ الدّالةُ على الطّريقِ.

والجواب الثاني : أنْ يكونَ «الصّراط المستقيم»: الطريقَ إلى الجنّةِ في الدنيا، وهو السّببُ المؤدّي إليها من الأعمالِ المرضيّةِ والأفعالِ الحَسَنَةِ، والهدايةُ إلى ذلك أحد الوجوه التي نذكرها إذا كانَ المُرادُ بالصّراطِ /٢ أ/ الإسلام.

والجواب الثالث : أنْ يكونَ معنى «اهْدِنا»: وفّقنا، ومنه قولُ الحُطَيئة(٤):

تَحَنَّنْ عليَّ هداكَ المليكُ

فإنّ لكُلِّ مَقامٍ مَقالا

معناه: وَفَّقَكَ اللّه للعلمِ بحالي والنّظر في أمري. وليسَ يريدُ: أَنَّكَ على الضّلالة، وأنا أَدعو اللّهَ لكَ بالهدايةِ، فيذُمّهُ وهو مُسْتَعْطِفٌ.

والجواب الرابع : أنْ يكونَ «الصّراط المستقيم»: كتابَ اللّهِ، عزّ وتعالى، ومعنى «اهدنا»: بَصِّرْنا فيه، وأعِنّا على أداءِ ما يلزمُنا منه علمًا وعملاً.

والجواب الخامس : أنْ يكونَ «الصّراط المستقيم»: جادَّةَ الإسلام، ويكونَ النّاسُ مأمورين بأنْ يطلبوا من اللّهِ أنْ يمنَحَهُم الهِدايةَ آنفًا كما مَنَحَهُم سالفًا، لا يعلمون ما يكونُ من عاقبةِ أَمْرِهم، ولا ما ينقَلِبُونَ إليه في بَقِيَّةِ عُمُرِهم.

والجواب السادس : أنْ يكون معنى «اهْدِنا»: دُمْ لنا على هذا الفِعْل. يقولُ القائلُ لِمَنْ هو في فِعْل: افْعَلْ، أي: دُمْ على فِعْلِكَ الذي أنتَ عليه. كما تقولُ لِمَنْ هو قاعِدٌ: اقْعُدْ حتى أعودَ إليكَ، أيْ: دُمْ على ما أَنْتَ عليه من القُعُودِ. وكما تقولُ للآكِلِ: كُلْ، على معنى: دُمْ على أَكلِكَ.

وكَأَنَّهم سألوا اللّهَ، تبارك وتعالى، أنْ يُديمَ الهِدايةَ لهم.

وهذا الوجهُ، وإنْ كانَ مِنَ الأوّلِ في معنى طلبِ التثبيت على الهدايةِ، فإنّ طريقي الكلام فيهما مختلفان، وقد يختلفُ الطّريقانِ والمقصودُ واحدٌ.

والجواب السابع : أنْ يكون «الصّراط المستقيم»: المنهاجَ الذي شَرَعَهُ اللّهُ لأُمَّةِ كلِّ نبيٍّ، كقوله تعالى: ﴿**لكُلٍّ جَعَلْنا منكم شِرْعَةً ومِنهاجًا**﴾(٥). فيكون المعنى على هذا الوجه: دُلّنا من الشرائع على الحقيقة التي أَرَدْتَها وأَمرتَ بها /٢ب/؛ لنُؤَدِّيَ الطاعاتِ بحسبِها، إذا اختَلَفَتْ بالنّاسِ الطُّرُقُ في فُروعِ الدِّينِ.

والجواب الثامن : أنْ يكونَ معنى «اهْدِنا الصّراطَ المستقيمَ»: قدِّمْنا إليه، كقوله تعالى: ﴿**فاهْدُوهُمْ إلى صِراطِ الجَحيمِ**﴾(٦)؛ أيْ: قَدِّموهم إليه؛ لأنّ الهاديَ قد يتقدّمُ المَهْدِيَّ فيقودُهُ، وقد يتأخّرُ عنه فيسوقُهُ.

والجواب التاسع : أنْ يكونَ معنى «اهْدِنا الصّراطَ»: اهْدِنا لزومَ الصّراط، فيكون على حَذْفِ المضاف وإقامةِ المضافِ إليه مقامَهُ، على نحو: ﴿**وَسْئَلِ القريةَ**﴾(٧)، وكقول الشاعر(٨):

حَسِبْتَ بُغامَ راحلتي عَناقًا

وما هي وَيْبَ غَيْرِكَ بالعَناقِ

أيْ: حَسِبْتَ بُغامَها بُغامَ عَناقٍ. وكما قالَ النّابِغةُ(٩):

يومًا بأَجْوَدَ منهُ سَيْبَ نافِلَةٍ

ولا يحولُ عَطاءُ اليومِ دونَ غَدِ

أيْ: لا يحولُ عطاؤهُ دونَ عَطاءِ غَدٍ.

والجواب العاشر : أنْ يكونَ معنى «اهْدِنا»: زِدْنا هُدًى، وتكونُ الهدايةُ هي التي وَعَدَها اللّهُ المؤمنين في قولِه تعالى: ﴿**ومَنْ يُؤْمِنْ باللّهِ يَهْدِ قلبَهُ**﴾(١٠)، وفي قوله: ﴿**والذينَ اهتَدَوْا زادَهُم هُدًى**﴾(١١).

فإنْ قالَ قائلٌ: وما هذه الزِّيادةُ التي يَزيدُها المؤمن؟

كان الجوابُ عن ذلكَ مِنْ أَربعةِ أَوْجُهٍ:

أحدها: أنْ يُقال: ما يردُ عليه من فروعِ الدِّينِ التي يتنقّلُ عن ظُلْمَةِ الجهلِ بِها إلى ضياءِ معرفتها، ولا ينفكُّ المُتعلِّمُ والعالمُ من هذه الزيادة مدى عُمره؛ إذ كانَ على قصدِهِ وطلبِهِ.

والثاني : هو تزايدُ عملِه بما يُمكِّنُ الإيمانَ في صدره من الفكر فيما ينطقُ من آياتِ اللّهِ في خَلْقِه.

والثالث : أنْ تكونَ هذه الزّيادةُ مطلوبةً لِمَنْ لم يبلغْ في الدِّينِ /٣ أ/ حدَّ اليقينِ، فيُرادُ بالسؤالِ تبليغ الكمال.

والرابع : أن تكون هذه الزّيادَةُ للعارفِ المهتدي، وهي لطائفُ من اللّه تعالى تمسكُ عليه المعرفةَ عندَ ورودِ الشُّبَهِ عليه، فيَضْرَحُهَا عن قلبِهِ؛ لكي لا يستبدلَ جهلاً بعِلْمِهِ.

مسألة في خَبَر الرّسول ﷺ

سألَ بعضُ أَهلِ الزَّيْغِ عن قول النبيّ، عليه السّلام:

(مَثَلُ أُمَّتي مَثَلُ المَطَرِ لا يُدْرَى أَأَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ)(١٢).

قالوا : وما وَجْهُ ذلك مع قضيّةِ العقل؟

وقول الرَّسول، عليه السلام: (إنّ الإسلامَ بدأ غريبًا وسيعودُ غريبًا)(١٣)، و(خَيْرُ أُمَّتي القَرْنُ الّذي بُعِثْتُ فيه)(١٤).

قالوا: العقلُ يقضي بأنّ صدرَ هذه الأُمَّة خيرٌ من وسطِها وعَجزِها، وقوله: (خيرُ أُمَّتي القَرْنُ الذي بُعِثْتُ فيهم)، يعارضُ قَوْلَهُ: (لا يُدْرَى أَأَوَّلُهُ خيرٌ أو آخِرُهُ)؛ لأنّ ذلك ممّا يُدْرَى ويُعْلَمُ.

والجواب عن ذلك أنْ نُبَيِّنَ معنى الأُمَّةِ أوّلاً، ثُمّ نبني عليه معنى الخَبَرَيْنِ:

أُمَّةُ كلِّ نبيٍّ في أصل اللغة: القومُ الذين بُعِثَ إليهم، مؤمنُهُم وكافِرُهُم، لقوله تعالى: ﴿**ويومَ نبعَثُ في كلِّ أُمَّةٍ شهيدًا عليهم مِنْ أنفسهم**﴾(١٥).

والشّهيد(١٦) يكونُ على المؤمنِ وعلى الكافرِ جميعًا بما فَعَلاه. وحقيقةُ اللغةِ توجبُ ذلك؛ لأنّ الأنبياءَ، عليهم السّلام، أَئمَّةٌ لأُممهم، فهم يؤمُّونَهم، ومعنى يؤمُّونهم: يقصدونَ استتباعَهُم، وإنْ تَفَتَّلوا منهم. فإذا أَمُّوهم وقصدوا جماعتهم بذلك، فكُلُّ جماعة أُمَّة لإمامِها. وتكونُ أُمَّةٌ فُعْلَةً بمعنى المفعول، كضُحْكَةٍ ولُعْبَةٍ وهُزْأَةٍ. هذا هو الأصلُ في اللغة.

ثُمَّ إنَّ الأمّةَ تحقَّقَتْ على المسلمين دونَ الكافرين، وغلبتْ عليهم حتى صارتْ كأنّها حقيقةٌ فيهم؛ لأنّ الإمامَ أَمَّهُم فأْتَمُّوا، فصحَّ المعنيانِ فيهم. والكُفّارُ لمّا /٣ب/ أَمَّهُم الإمامُ فلم ينتفعوا به، ولم يأْتَمُّوا صاروا كأنّهم لم يؤمّهم الإمامُ، فلمّا غلبتِ اللّفظةُ على المؤتَمِّين المقتدين صارتْ كصفة مدح، وهي التي أرادها الرّسولُ ﷺ بقوله: (مَثَلُ أُمَّتي مَثَلُ المطرِ لا يُدْرَى أَأَوَّلُهُ خيرٌ أَمْ آخِرُهُ) أيْ: مَنْ كانَ مِن أُمَّتي مُتَقَلِّدًا لإمامتي مُتأَخِرًا عن عصري ومبعثي، إذا ائتمَّ بي في عبادتي، لم يَنأَ عن أَوَّلهم تأَخُّر زمانِه عن زمانهم؛ لأنّهم وإنْ بَعُدَهم الزّمانُ فإنّ العبادةَ تقرِّبُهُم منهم، فيتقاربُ ما بينه وبينهم إذا فعلوا فعلهم، وإنْ لم يكونوا مثلهم بما اختصّ به أولئك، رضوان اللّهِ عليهم، من كبارِ المشاقّ وعظامِ الخُطوبِ، وآثروه من بَذْلِ المُهَجِ في الحروبِ؛ لِنصْرَةِ الإسلامِ في إبّانِه وابتدائه، وثبات القليل منهم للكثير من أعدائه، وفي ذلك حَثٌّ على التقوى، وأنّ بها نيلَ المنزلَةِ العُظمى، وأنّ ما بينَ المتقدّمِ والمتأخّرِ يتقاربُ؛ إذْ جمعتهم الطاعاتُ ونظمتهم العباداتُ.

ويكونُ معنى قوله: (لا يُدرى أَأَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ) بتقارُبِ ما بينهما. كما تقولُ في الكريم: لا يُدْرَى أَوَعْدُهُ أَحْسَنُ أَمْ رِفْدُهُ، أَعطاؤه أَحْسَنُ أم مَنْعُهُ، إذا أَرَدْتَ أَنَّهُ يحسنُ فيهما جميعًا. وقد عُلِمَ أنّ الرِّفْدَ أحسنُ مِن الوَعْدِ، وأنّ العطاءَ أَحْسَنُ من المنع.

وهذا كما يُقالُ: لا يُدْرَى أَوَجْهُهُ أَحْسَنُ أَمْ قَفَاهُ، إذا تقاربَ ما بينهما. فهذه اللّفظةُ عبارةٌ عن التّقاربِ.

والخبرُ الآخرُ على ظاهرِهِ، وهو أنْ يكونَ أوّلُ هذه الأُمَّةِ خيرًا من وسطِها أو آخِرِها.

وأمّا قولُهُ، عليه السّلام: (إنّ الإسلام بدأَ غريبًا وسيعودُ غريبًا)، فمعناه: بدأ بعيدًا عمّا عليه الجمهورُ، وسيعودُ كذلكَ، إلاّ أَنَّهُ لا يفقدُ القُوَّةَ، وإنْ قلَّ عددُ أهلِهِ، كما لم يفقدها في ابتدائه.

مسألة نحويّة

الأسماءُ المقصورة المُنَوَّنَةُ مثل: عصًا، ورَحًى،

وفَتًى، إذا وُقِفَ عليها في حال النّصبِ، نحو قولِكَ: /٤ أ/ رأيتُ فَتَى، فلا خلافَ بينَ النّحويين في أنّ الألفَ في حالِ النّصبِ بدلٌ مِن التّنوين، كالألف في قولهم: رأيتُ زيدًا.

فأمّا في حال الرَّفع والجَرّ فإنّ النّحويين كُلَّهم مجمعون على أنّ الألف في قولهم: هذا فَتَى، وهذه رَحَى، ليست بدلاً من التّنوين، وإنّما هي الألفُ المنقلبةُ عن الواو والياء، إلاّ أبا عثمان المازني[١٧] فإنَّهُ خالفَ الجمهورَ، وزَعَمَ أنّ الألفَ في حال الرفع والجرّ في الوقف بدلٌ مِن التنوين، كما كانت في حالِ النّصبِ كذلك.

فأمّا حجّةُ النّحويين في أنّ الألفَ في حالِ الرّفع والجرّ إنّما هي بَدَلٌ من الواو والياء دونَ البدلِ مِن التنوين، فهي أنّ المُعتلاّت مبنيةٌ على الصّحيحة وفروع عليها، فكما لم يَثبتِ التنوينُ في الوقف على الرّفع والجرِّ إذا قلتَ: هذا زَيْدْ، ومررتُ بزيدْ، ولم يثبتْ بدلٌ منه، كذلك أيضًا لا يثبتُ في المعتلّ، وإنّما يُبْدَلُ التنوين في حال النّصبِ إذا قلتَ: رأيتُ زيدًا، وإذا التقتِ الألفُ، التي هي بدلٌ من التنوين، والألف المنقلبة، وحَذَفْتَ التي هي بدلٌ من الأصل، واستبقيتَ الدّاخلةَ للاختصاص بالفائدةِ فتُسْقِط الألف لالتقاء السّاكنين، وتُبقي التي هي بدلٌ من التنوين. والرّفعُ والجرُّ لمّا لم يثبتْ فيهما الأصلُ لم يثبتْ فيهما الفرعُ.

وأمّا حجّةُ أبي عثمان فهي أنّ الذي منعَ مِن إثبات التنوين في حالِ الرّفع وبَدَلِهِ، وحالِ الجرِّ وبَدَلِهِ في الواحد الصّحيحِ غير موجودٍ في هذا المكان، وذلكَ أنّ في المرفوعِ ضمّةً يتبعها التنوينُ، فلو أبدل التنوين مَدّةً لصارت واوًا بعدَ الضمّة، فكُنتَ تقولُ: هذا زَيْدُو. وكذلكَ بعدَ الكسرة كانتْ تنقلبُ ياءً، فتقولُ: مررتُ بزيدِي. وهذا لم يَجُزْ لهذه العِلّةِ. قالَ: وليسَ كذلكَ المقصورُ؛ لأنّ ما قبلَ تنوينِهِ /٤ب/ في حالِ الرّفعِ والجرِّ مفتوحٌ، كما قبلَ التنوين من آخر المنصوب. فإذا قلتَ في الوصل: هذه رحًى، وهذا فتًى فاعلم. فالتنوينُ واقعٌ بعدَ فتحة، وقد زالتِ الألفُ لأجل سكونِ التّنوين. فإذا وقفتَ أسقطتَ ما كنتَ تُسقطُهُ قبلُ، وأقمتَ مقامَ التنوينِ الألفَ؛ لأنّه لاقى فتحةً قبله كما لاقى التنوينُ في حالِ النّصبِ في الأسماء الصحيحةِ الأواخرِ الفتحةَ قبلَهُ للنصبِ، فتُشَبَّهُ فتحةُ البناءِ بفتحةِ الإعرابِ، وتحملُ عليها التنوين كما تَحملُهُ على فتحةِ الإعراب، ولا يلتفتُ إلى امتناعِ بدلِ التنوينِ في الوقفِ على المرفوعِ والمجرور؛ إذ كانَ ذلكَ لمعنًى ليسَ بموجودٍ في هذا المكان.

والذي ينصرُ به النحويّون مذاهبَهُم أنّ المُعْتَلاّت مبنيّةٌ على الصّحيحة مُقَدَّرةٌ تقديرَها إلاّ ما توجبُ العِلّةُ مِن حُكْمِها، فقولُنا: هذه رَحًى، أَصْلُهُ: رَحَيٌ، فاعلمْ. فإذا أَردتُ الوقفَ عليها، وهي مرفوعةٌ، احتجتُ أنْ أُجريَها مجرى الصّحيح، وأَحذفَ التنوينَ، وأَقفَ على اللاّم ساكنةً، وهذه اللاّمُ حقُّها أنْ تنقلبَ أَلِفًا، فلا أقلبُها ألفًا إلاّ وقد سقطَ حكمُ التنوين وحكمُ بدلِهِ، فكيفَ يصحُّ أنْ تَدَّعي أنّ الألفَ بدلٌ من التنوين، ولم يثبتِ الأصلُ الذي الألفُ فرعٌ عليه. وإنّما ثبتَ التّنوينُ في قولهم: هذه رَحًى، في حالِ الوصل، فأمّا في حالِ الوقف فإنّ التنوينَ يسقطُ حكمُهُ ويسقطُ بدلُهُ، ولا يبقى إلاّ أنْ تكونَ الألفُ الموقوفُ عليها هي لامَ الاسم، إذا كانتِ الألفاظُ المُعَلّةُ تُعَلُّ عن أصل الواجب. وإذا كانَ ذلكَ كذلكَ ثبتَ أنّ الألفاتِ في أواخرِ المرفوعاتِ والمجرورات بَدَلٌ من اللاّماتِ لا بَدَلٌ مِنَ التنوين[١٨]، والسلام.

بَيْتُ مَعْنًى

/٥ أ/ كأنَّ خَوْقَ قُرْطِها المَعْقُوبِ
على دَبَاةٍ أو على يَعْسُوبِ[١٩]

الخَوْقُ: حَلْقَةُ القُرْط. والمعقوبُ: المشدُودُ بالعِقاب، وهو الخَيْطُ الذي يدخلُ في خُرْتِ حَلْقَةِ القُرْطِ، ويُقالُ له: العِقابُ، بالكسر، والعُقابُ، بالضمِّ.

والبيتُ يحتملُ مَعْنَيَيْنِ: الذَّمَّ، والمَدْحَ.

فأمّا الذَّمُّ فهو أنْ يصفَ المرأةَ بالوَقصِ وقِصَرِ العُنُقِ، فيُشَبِّهُ تركيبَ رأسها على جَسَدِها بتركيبِ

رأس الجرادةِ على بَدَنِها، ولا عُنُقَ هُناكَ تَرى. وكذلكَ اليَعْسُوبُ. فأرادَ أنّ القُرْطَ مُعَلَّقٌ عليها، واقفٌ على منكبيها غير مُضْطَرِبٍ كاضطرابِ الّذي وَصَفَهُ ذو الرُّمَّةِ(٢٠) في قوله:

والقُرْطُ في حُرَّةِ الذِّفْرَى مُعَلَّقُهُ
تباعَدَ الحَبْلُ مِنْهُ فهو يَضْطَرِبُ

والمعنى الثاني: أنّ قُرْطَها لا يزالُ مُضْطَرِبًا مُتحرِّكًا لبُعْدِ مَهْواهُ وطُولِ عُنُقِها، فكأنَّهُ مُعَلَّقٌ على دَبَاةٍ تَنْزُو مِن مكانٍ إلى مكان، ولا تَسْتَقِرُّ، ولهذا شُبِّهَتِ الفَرَسُ الوثّابةُ بالجرادةِ الوثّابةِ، فقالَ امرؤ القَيْس(٢١):

وأَرْكَبُ في الرَّوْعِ خَيْفانَةً

والمعنى الأولُ أَوْلَى.

مَثَلٌ

(لا تَجِدُ الشَّعْفاءُ ما يَخْشَى الأَزَبُّ)(٢٢).

الأَزَبُّ: الكثيرُ الشَّعَرِ على الحاجِبِ والعَيْنَيْنِ.

والعربُ تقولُ في مَثَلٍ أخَرَ لها: (كُلُّ أَزَبَّ نفورٌ)(٢٣).

وذلكَ أنّ البَعيرَ إذا كَثُرَ الشَّعَرُ حوالي عَيْنَيْهِ خُيِّلَ الشَّعَرُ إليه أَشخاصًا، فلا يزالُ ينفِرُ.

ويكونُ هذا مَثَلاً لِمَنْ له فَعَلاتٌ مُرِيبةٌ يخافُ لها، فيكونُ المعنى: كلُّ مُرِيبٍ خائفٌ.

وأَمَّا الشَّعْفاءُ في المَثَلِ الأَوَّلِ الذي بَدَأْنا بهِ فهي النّاقَةُ التي يتناثرُ شَعَرُ عَيْنَيْها فلا تخافُ ما يخافُهُ الأَزَبُّ. فيكونُ هذا مَثَلاً لِمَنْ لا يُتَعَلَّقُ عليهِ /٥ ب/ في ريبة. فقيل: لا تحذرُ هذهِ ما يخافُهُ ذاكَ؛ لأَنّ مخوفاتِها زائِلَةٌ، والسّلام. ●

الحواشي

١ – ينظر في ترجمته:
معجم الأدباء: ٢٥٤٩/٦ (طبعة إحسان عباس) و: ٢١٣/١٨ (طبعة مصر).
الوافي بالوفيات: ٣٣٧/٣.
بغية الوعاة: ١٤٩/١.
كشف الظنون: ٦٩١/١، ١٤٢٨/٢، ١٥٥٥، ١٥٧٩.
تاريخ الأدب العربي (بروكلمان): ١٥٩/٥.
الأعلام: ١٠٢/٧.
معجم المؤلفين: ٢١١/١٠.

٢ – الفاتحة : ٦.

٣ – محمد : ٤ – ٥.

٤ – ديوانه: ٢٢٢.

٥ – المائدة : ٤٨.

٦ – الصافات : ٢٣.

٧ – يوسف : ٨٢.

٨ – ذو الخرق الطهوي، والبيت في نوادر أبي زيد: ٣٦٦.

٩ – ديوانه: ٢٤.

١٠ – التغابن : ١١.

١١ – محمد : ١٧.

١٢ – المسند: ١٣٠/٣ و١٤٣، وسنن الترمذي: ١٤٠/٥.

١٣ – سنن ابن ماجة: ١٣٢٠.

١٤ – ينظر: صحيح مسلم: ١٩٦٢ – ١٩٦٣.

١٥ – النحل : ٨٩.

١٦ – ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ١٣٧.

١٧ – بكر بن محمد بن بقية، ت ٢٤٩هـ. (أخبار النحويين البصريين ٨٥، وإنباه الرواة: ٢٤٦/١). وقوله في التبيين: ١٨٧، وهمع الهوامع: ٢٠٢/٦.

١٨ – ينظر في الوقف على المقصور المنون: المرتجل: ٤٥، والتبيين: ١٨٦، واللباب: ٢٠٦/٢، وشرح المفصل: ٧٦/٩، وهمع الهوامع: ٢٠١/٦.

١٩ – البيت لسيّار الأبانيّ، في التنبيه والإيضاح: ١١٨/١ (عقب). والدَّباة: واحدة الدَّبا، نوعٌ من الجراد. واليعسوب: ذَكَرُ النَّحل.

٢٠ – ديوانه: ٣٥.

٢١ – ديوانه: ١٦٣، وعجزه:
كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ.

٢٢ – أغفلته كتب الأمثال المطبوعة.

٢٣ – الأمثال: ٣١٧، وجمهرة الأمثال: ١٥٤/٢، ومجمع الأمثال: ٧/٣.

المصادر والمراجع

– المصحف الشريف : رواية حفص عن عاصم.

امرؤ القيس :
– ديوان امرىء القيس، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٩م.

الباهلي : أبو نصر.
– شرح ديوان ذي الرمة، تح. د. عبد القدوس أبو صالح، دمشق، ١٩٧٢م.

بروكلمان : كارل (– ١٩٥٦م).
– تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار ورفاقه، مصر.

ابن برّي : عبد الله (– ٥٨٢هـ).
– التنبيه والإيضاح، تح. مصطفى حجازي وعبد العليم الطحاوي، القاهرة، ١٩٨٠ – ١٩٨١م.

الترمذي : محمد بن عيسى (– ٢٧٩هـ).
– سنن الترمذي، تح. أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٣٧م.

الحطيئة :
– ديوان الحطيئة، تح. نعمان أمين طه، القاهرة، ١٩٥٨م.

الحموي : ياقوت (– ٦٢٦هـ).
– معجم الأدباء، دار المأمون، مصر، ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م.
– معجم الأدباء، تح. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ابن حنبل : أحمد (– ٢٤١هـ).
– المسند، طبعة القاهرة، ١٣١٣هـ.

ابن الخشّاب : عبدالله بن أحمد (– ٥٦٧هـ).
– المرتجل، تح. علي حيدر، دمشق، ١٩٧٢م.

خليفة : حاجي (– ١٠٦٧هـ).
– كشف الظنون عن أسامي الكتب، إستانبول، ١٩٤١م.

الزركلي : خير الدين (– ١٩٧٦م).
– الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩م.

أبو زيد الأنصاري : سعيد بن أوس (– ٢١٥هـ).
– النوادر في اللغة، تح. د. محمد عبد القادر أحمد، بيروت، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

ابن السكيت :
– ديوان النابغة، تح. د. شكري فيصل، بيروت، ١٩٦٨م.

السيرافي : الحسن بن عبدالله (– ٣٦٨هـ).
– أخبار النحويين البصريين، تح. د. محمد إبراهيم البنا، القاهرة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر (– ٩١١هـ).
– بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م.

- همع الهوامع، تح. د. عبد العال سالم مكرم، الكويت، ١٩٧٥ = ١٩٨٠م.

الصفدي : خليل بن أيبك (- ٧٦٤هـ).

- الوافي بالوفيات، تح. ريتر وآخرين، منشورات المعهد الألماني للأبحاث، بيروت، ١٩٣١م.

عبد الباقي : محمد فؤاد.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار مطابع الشعب، القاهرة.

أبو عبيد : القاسم بن سلام (- ٢٢٤هـ).

- الأمثال، تح. د. عبد المجيد قطامش، بيروت، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

العسكري : الحسن بن عبدالله، أبو هلال (- بعد ٣٩٥هـ).

- جمهرة الأمثال، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، مصر، ١٩٦٤م.

العكبري : عبد الله بن الحسين، أبو البقاء (- ٦١٦هـ).

- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، تح. عبد الرحمن العثيمين، بيروت، ١٩٨٦م.
- اللباب في علل البناء والإعراب، تح. د. غازي طليمات، ود. عبد الإله نبهان، دمشق، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

القارىء : هارون بن موسى (- نحو ١٧٠هـ).

- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تح. د. حاتم صالح الضامن، بغداد، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

القفطي : علي بن يوسف (- ٦٤٦هـ).

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥ - ١٩٧٣م.

كحالة : عمر رضا (- ١٩٨٧م).

- معجم المؤلفين، مط. الترقي، دمشق، ١٩٦١م.

ابن ماجه : محمد بن يزيد (- ٢٧٥هـ).

- سنن ابن ماجه، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٢م.

الميداني : أحمد بن محمد (- ٥١٨هـ).

- مجمع الأمثال، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

النيسابوري : مسلم بن الحجاج (- ٢٦١هـ).

- الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.

ابن يعيش : يعيش بن علي (- ٦٤٢هـ).

- شرح المفصل، المطبعة المنيرية، مصر.

كتاب المجالس للخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ